والجحيم المتاجج من النار وفي التعبير عنهم بصاحبة الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما
وعيد شديد لهم وايذان بانهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان قطعا وقوله تعالى
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم بيان لشدة شكيمة هاتين الطائفتين
خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين من الاصرار الى ما هم عليه الى الموت وايراد لا
النافية بين المعطوفين لتاكيد النفي لما مر من ان تصلب اليهود في امثال هذه الافعال
اشد من النصارى والاشعار بان رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى اي لا ترضى عنك
اليهود ولو خليتهم وشانهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم
حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة في اقناطه عليه
السلام مما لا يكاد يدخل تحت الامكان من اتباعه عليه السلام لملتهم
وهذه حالتهم في انفسهم ومقالتهم فيما بينهم واما انهم اظهروها للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا لن ترضى عنك وان بالغت في طلب رضانا
حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل يدل على خلافه فان قوله عز
وجل قل ان هدى الله هو الهدى صريح في ان ما وقع هذا جوابا عنه ليس عين تلك
العبارة بل ما يستلزم مضمونها او يلزمه من الدعوى الى اليهودية والنصرانية
وادعاء ان الاهتداء فيهما كقوله عز وعلا حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى
تهتدوا اي قل ردا عليهم ان هدى الله الذي هو الاسلام والهدى بالحق الذي
يحق يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون اليه
ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اي ارائهم
الزائفة الصادرة عنهم لقضية شهوات انفسهم وهي التي عبر عنها فيما
قبل بملتهم اذ هي التي ينتمون اليها واما ما شرعه الله تعالى من الشريعة على لسان
الانبياء وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغييرا بعد الذي جاءك من العلم اي
الوحي والدين المعلوم صحته ما لك من الله من جهته العزيزة من ولي يلي امرك
عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفي الولي نفي النصير وسط
بينهما حرف النفي للتاكيد وهذا من باب التهييج والالهاب والا فلا يتوهم امكان
اتباعه عليه السلام الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن
سلام واضرابه يتلونه حق تلاوته بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في
معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده مقدر له

اولئك

٨٤

اولئك اشارة الى الموصوفين بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل يؤمنون به اي بكتابهم دون المحرفين
فانهم بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر ببعض منه ومن يكفر به بالتحريف
والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني
اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ومن جملتها التوراة وذكر النعمة انما
يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملتها نعت النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ومن ضرورة الايمان بها الايمان به عليه السلام واني فضلتكم على
العالمين افردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السابقة
لانافتها فيما بين فنون النعم واتقوا يوما لا تجزي في ذلك اليوم نفس من النفوس
عن نفس اخرى شيئا من الاشياء او شيئا من الجزاء ولا يقبل منها عدل اي
فدية ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون وتخصيصهم بتكرير التذكير و
اعادة التحذير للمبالغة في النصح وللايذان بان ذلك فذلكة القصة والحق
ومن القصة ما انعم الله عز وجل عليهم به اعظم وكفرهم بها اشد واقبح واذ ابتلى
ابراهيم ربه بكلمات شروع في تحقيق ان هدى الله هو ما عليه النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابراهيم عليه السلام وان
ما عليه اهل الكتابين اهواء زائفة وان ما يدعونه من انهم على ملته عليه السلام من
التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابراهيم عليه السلام فرية بلا مرية ببيان ما صدر
عن ابراهيم عليه السلام من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقية التوحيد وبطلان
الشرك وبصحة النبي عليه السلام وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه ابراهيم عليه السلام
واسمعيل عليه السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية فاذ منصوب على
المفعولية بمضمر مقدر خوطب به النبي عليه السلام بطريق التلوين اي واذكر
لهم وقت ابتلائه عليه السلام ليتذكروا بما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد
الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم فيه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر
الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات قد مر وجهه في اثناء قوله تعالى
واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر
اي واذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجيء من قوله تعالى قال اني الخ والاول هو اللائق
بجزالة التنزيل ولا يبعد ان ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا وخوطب به بنو

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)